التصحيف والتحريف عند حمزة الأصفهاني في كتابه : التنبيه على حدوث التصحيف

م.م.عايد جدوع حنون
كلية تربية المثنى/جامعة القادسية

الخلاصة :

تناول البحث ظاهرة التصحيف والتحريف في اللغة العربية معتمداً فيه على ما جاء في كتاب(التنبيه على حدوث التصحيف) لحمزة الأصفهاني، وجاء على ثلاثة مباحث. ذكرت في المبحث الأول تعريف التصحيف والتحريف في اللغة والاصطلاح ، ثم بينت دلالة مصطلحي التصحيف والتحريف عند القدامى و المحدثين، وذكرت في المبحث الثاني أسباب حدوث التصحيف والتحريف في اللغة، وأرجعتها إلى خمسة أسباب هي:(رسم الخط العربي، ضعف الرواية، السهو, الحسد العلمي ، النساخ(الوراقون))، وتبين من خلال البحث أن تلك الأسباب تختلف باختلاف مستويات الكلام العربي ، إذ تبين أنّ سبب التصحيف والتحريف في القراءات القرآنية يعود إلى رسم الخط فقط، على حين يعود سبب التصحيف والتحريف الذي أصاب الكلام العربي المنظوم وغير المنظوم إلى جميع تلك الأسباب. أما المبحث الثالث فاختص بالتصحيف المتعمد الذي يعد فناً من فنون علم البديع، وهو أن يعمد المرسل إلى ذكر لفظ مصحّف لغرض الإلغاز والإطراف.

و خلصت فيه إلى أنَّ ثمة دلالتين للتصحيف عند حمزة الأصفهاني :

الأولى :إنَّه الخطأ في الكتابة الناجم عن التغيير في نقط الحروف ، و الثانية : إنَّه فنٌّ من فنون علم البديع يعمد إليه صاحبه لغرض الإلغاز و الإطراف .

توطئة :

حظيت آثار حمزة الأصفهاني باهتمام الباحثين إذ كتب الأستاذ الدكتورحسين علي محفوظ في حمزة الأصفهاني وآثاره بحثاً جاء تحت عنوان (حمزة بن الحسن الأصفهاني سيرته وآثاره وآراؤه في اللغة والتاريخ والبلدان)، ونُشر في مجلة سومر على قسمين، اختص القسم الأول منه بـ (سيرته وآثاره) ونُشِر سنة ١٩٦٣ م[١], والقسم الثاني بـ (آرائه في اللغة والتاريخ والبلدان) ونُشِر سنة ١٩٦٤ م[٢] , بيد أنه لم يتعرض فيه إلى موضوع التصحيف والتحريف إلبتَّة، ثم كتب أحد الباحثين المحدثين في حمزة الأصفهاني وآثاره اطروحة جاءت تحت عنوان (حمزة بن الحسن الأصفهاني حياته وآثاره) نُوقشت في كلية التربية /جامعة القادسية سنة ٢٠٠١ م، ولم يتعرض فيها الباحث إلى هذا الموضوع، وقال في مقدمة اطروحته ((ومع ذلك فإنّني لا أدعي أنني قد استوفيت كل ما يتعلق بهذا العالم وآثاره ، فثمة جهود لغوية وأدبية له لم اتناولها بالدراسة في هذا البحث؛ بسبب ضيق الوقت، وخوفاً من ترهل حجم الرسالة)) [٣]. وهذا ما شجعني على دراسة هذا الموضوع ، فضلاً عن نيل كتاب(التنبيه على حدوث التصحيف) اهتمام الباحثين وثناءَ هم ؛ لأنَّه يُعد المصدر الأول في دراسة ظاهرة التصحيف والتحريف إذ لم يصل إلينا كتاب في هذا الموضوع قبله[٤] .

المبحث الأول : تعريفهما و دلالة كل منهما :

أولاً: تعريفهما :

١- التصحيف :

لغة : التصحيف في اللغة يعني الخطأ في القراءة، وأول من أشار إلى ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت ١٧٥ هـ)إذ قال : ((المُصَحّف هو الذي يروي الخطأعن قراءة الصحف بأشباه الحروف)) [٥]، ووافق حمزة الأصفهاني (ت ٣٦٠ هـ) الخليل في ذلك إذ قال : ((وأما لفظ (التصحيف) فإنّ أصله فيما زعموا أنَّ قوماً كانوا أخذوا العلم عن الصحف من غير أن يلقوا فيه العلماء ، فكان يقع فيما يروونه التغيير ، فيقال عندها: قد صحفوا فيه ، أي رَوَوْهُ عن الصُّحُفُ، ومصدره التصحيف ، ومفعوله مُصَحَّف)) [٦].

اصطلاحاً :أول من حد التصحيف بمعناه الاصطلاحي هو حمزة الأصفهاني إذ قال:((أما معنى قولهم(التصحيف) فهو أن يُقرأ الشيء بخلاف ماأراده كاتبه وعلى غير ماأصطُلح عليه في تسميته)) [٧] ، ثم ذكرت له عدة تعريفات لاتختلف في معناها عما ذهب إليه الأصفهاني منها قول أبي العلاء المعري(ت٤٤٩ هـ) : ((أصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته في صحيفة ولم يكن سمعه من الرجال فيغييره عن الصواب)) [٨] .

أما المحدثون فيرون أن التصحيف ((هو أن يُخطىء القارىء في قراءة الكلمة وروايتها لاتفاق في صورة أحرف الكلمتين ، واختلاف النقط ، أما الحركات فقد تختلف وربما لا تختلف)) [٩] .

نخلص من ذلك إلى أنَّ التصحيف يعني الخطأ في القراءة الناجم عن التغيير في نقط الحروف.

٢- التحريف :

لغة : التحريف في اللغة يعني التغيير وأشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك إذ قال تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عنْ مّوَاضِعِهِ ﴾ [١٠]، قال الخليل: ((والتحريف في القرآن تغيير الكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه)) [١١] وقال ابن منظور (ت ٧١١ هـ) :((وتحريف الكلم عن مواضعه : تغييره)) [١٢] وقال الزَّبيدي (١٢٠٥هـ): ((والتحريف : التغيير و التبديل)) [١٣].

اصطلاحاً : ذكر المحدثون للتحريف عدة تعريفات منها قول الدكتور رمضان عبد التواب : ((تغيير شكل الحروف المتشابهة في الرسم ، كالدال والراء والدال واللام)) [١٤] ، وقال غيره : ((أما التحريف فهو تغيير الحرف عن شكله ، أو الكلمة عن معناها ، وهي قريبة الشبة)) [١٥] , ويرى أحد الباحثين المحدثين أنه يعني : ((الخطأ في قراءة الكلمة الناجم عن التغيير في الحروف أو الحركات)) [١٦] . و يقصد بهما : ((مايحدث في النصوص اللغوية من أخطاء نتيجة لعدم ضبط روَّاتها و كتَّابها و ما يحدث عن الكتابة بالذات من إيهام . واصطلاح التصحيف والتحريف بهذا المعنى شائع في التراث العربي كلّه ؛لأنَّه يتصل بالنصوص ،وهي محور دراساته بأسرها)) [١٧].

ثانياً : دلالة مصطلحي التصحيف والتحريف :

ذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أنَّ الأوائل لم يفرقوا بين مصطلحي التصحيف والتحريف وعدوهما مترادفين ومنهم- على سبيل المثال – محمود محمد الطناحي إذ قال : ((وبعض القدماء لا يفرق بين التصحيف والتحريف ويجعلهما مترادفين))[١٨]، واتفق مع الباحث في أنّ الأوائل خلطوا بين المصطلحين في الاستعمال ، ومن الأدلة على ذلك قول حمزة الأصفهاني في الباب الذي سماه(في تصحيفات العلماء في شعر القدماء وعددهم) في ما نقله عن الأصمعي(ت ٢١٦ هـ) إذ قال:((وروى بيت أوس بن حجر :

أَجَوْنُ تدارك نَاقتَي بقِرىً لَهَا وَأكبرُ ظنّي أنَّ جَوناً سَيَفْعَلُ

قال ابن الأعرابي : صحَّف الدعيُّ ، إنما هو (تدارك ناقتي بقرابها) أي ما دمت أطمع فيها))[١٩] فهذا – على رأي المحدثين – تحريف وليس تصحيفاً، لكن من الجدير بالذكر أن دلالة التصحيف عند الأوائل – ومنهم حمزة الأصفهاني - كانت تعني كل خطأ في القراءة والدليل على ذلك قول حمزة الأصفهاني : ((أما معنى قولهم (التصحيف) فهو أن يُقرأ الشيء بخلاف ما أراده كاتبه وعلى غيرها أُصطُلح عليه في تسميته))[٢٠] وهذا الإطلاق يضم التحريف واللحن والخطأ الإعرابي والخطأ في المعنى وذكر الأصفهاني كل هذه الاخطاء في كتابه (التنبيه على حدوث التصحيف)[٢١] وسار على هذا النهج من جاء بعده من العلماء ومنهم أبو أحمد العسكري (ت٣٨٢ هـ) وقد أشار إلى ذلك بعض الباحثين إذ قال : ((والظاهر أنَّ أبا أحمد استعمل التصحيف للدلالة على كل خطأ سواء أكان ذلك في النقط أم في الحركة أم في الحروف أم في شرح الأبيات))[٢٢] , واستناداً إلى هذا فإنَّ علماءَنا الأوائل لم يجعلوا التصحيف والتحريف بمعنى واحد أي مترادفين بل عدوا مصلح التصحيف مصطلحاً عاماً يضم جميع الأخطاء التي تحدث في القراءة ، ولذا فإنَّ التحريف – عندهم- جزء من التصحيف شأنه شأن الأخطاء اللغوية الأُخر واستمروا على تلك الحال إلى منتصف القرن التاسع الهجري ،إلى أن اصطلح ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) على الخطأ الناجم عن التغيير في النقط بالتصحيف والخطأ الناجم عن التغيير في الشكل بالتحريف إذ قال:((إنْ كانت المخالفة بتغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخط في السياق فإن كان ذلك بالنسبة إلى النقط فالمصّحف وإن كان بالنسبة إلى الشكل فالمحرّف)) [٢٣] وبمرور الزمن تطورت دلالة التحريف إلى أنْ عُدَّت مصطلحاً قائماً بنفسه.

ومّما تجدر الإشارة إليه أنَّ حمزة الأصفهاني لم يذكر مصطلح التحريف في كتابه وإنما أشار إلى معناه اللغوي إذ قال: ((ولو سُمّي التصحيف تغييراً أوتبديلاً جاز)) [٢٤] ،وأول من ذكر مصطلح التحريف أبو أحمد العسكري في عنوان كتابه الموسوم (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) [٢٥] .

وقد استقر الرأي في العصر الحاضر على أنَّ التصحيف هو: تغيير نقط الحروف المتماثلة في الشكل كالباء والتاء والثاء والنون والياء ، والجيم والحاء والخاء ، والدال والذال ، والراء والزاي ، والسين والشين ، والعين والغين ، والفاء والقاف . وأنَّ التحريف هو : التغيير في شكل الحروف المتشابهة في الرسم ، كالدال والراء ، والنون والزاي ، والميم والقاف ، وما إلى ذلك .

المبحث الثاني :أسباب حدوث التصحيف والتحريف في اللغة :

تختلف أسباب حدوث التصحيف والتحريف في اللغة العربية - على ما يبدو – باختلاف مستويات الكلام العربي، وهو على ثلاث مستويات، هي :

أولاً : الكلام المقدس (كلام الله تعالى)

ثانياً :الكلام المنظوم (الشعر)

ثالثاً : الكلام غير المنظوم (النثر)

سأذكر في هذا المبحث أسباب حدوث التصحيف والتحريف في اللغة العربية في هذه المستويات معتمداً في ذلك على ما جاء في كتاب (التنبيه على حدوث التصحيف) لحمزة الأصفهاني ، وهي :

اولاً : رسم الخط العربي :

يعد التصحيف والتحريف الواقع بسبب رسم الخط العربي أوسع أسباب حدوث التصحيف والتحريف انتشاراً في اللغة العربية ، فضلاً عن أنّه أصاب جميع مستويات الكلام العربي ، مما دفع حمزة الأصفهاني إلى أن يُرجع سبب التصحيف إليه فقط إذ قال : ((وأما سبب وقوع التصحيف في كتابة العرب فهو أنّ الذي أبدع صور حروفها لم يضعها على حكمة ، ولا احتاط لمن يجيء بعده ، وذلك أنّه وضع لخمسة أحرف صورة واحدة ، وهي الباء والتاء والثاء والياء والنون ، وكان وجه الحكمة فيه أن يضع لكل حرف صورة مباينة للأخرى حتى يؤمن عليه التبديل)) [٢٦] ، فقد تشابهت أحرف الخط العربي إلى درجة يصعب التمييز بينها ، ولاسيما أنّه في بداية ظهوره لم يُعجم ولم تُشَكَّل أحرفه على

الرغم من تشابه رسمها ، فمثلا(س) تُقرأ(س ،ش ، بين،بيّن ، بيت، تبن ، تين ،ثبت ....الخ) و(بر) تُقرأ (بُرٌ ، بَرٌ ، برٌ) مما دفع العرب – بمرور الزمن – إلى إعجامه وتشكيله، ليؤمن عليهم اللبس ولم يشر إلى أسباب حدوث التصحيف والتحريف الأخرى وأمثلة هذا النوع هي :

أ – التصحيف :

١- كلام الله تعالى :

خصّص حمزة الأصفهاني في كتابه (التنبيه على حدوث التصحيف) باباً للآيات القرآنية التي وقع في قراءتها التصحيف ؛ بسبب رسم الخط العربي سماه : (في اختلاف ألفاظ من القرآن احتمل هجاؤها لفظتين فمن أجل أنه قُرِىء بها صارتا قراءتين) [٢٧] . ومن أمثلة التصحيف التي ذكرها في هذا الباب قراءة بعضهم ﴿ هُنَالِكَ تَتلُوْ كُلُّ نَفسٍ ﴾ و﴿ تبلُو﴾[٢٨]، فضلاً عن بعض القراءات المصحفة التي ذكرها في بداية الكتاب ، ومن أمثلتها قوله : ((هذا حماد الراوية سعى بشار الشاعر به إلى عقبة بن أسلم أمير البصرة[وقال له]إنّه يروي جُلَّ أشعارالعرب ولا يحسن من القرآن غير أم الكتاب،فامتحنه الأمير بتكليفه القراءة في المصحف ،فصَحّف فيه عدة آيات لم يبق على الحفظ منها إلاّ عدة وعشرون حرفاً،هي:﴿وُأوْحَى رَبُّكَ إلى النَّخلِ أن اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتَاً وَمِنَ الشَّجَرِ وممّا يغرِسُوْنَ ﴾[٢٩] والصحيح :﴿ وَأوْحَى رَبُّك إلى النَّحْلِ أن اتّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتَاً ومِّما يَعْرِشُوْنَ ﴾[٣٠] .

٢- الكلام المنظوم :

وقع التصحيف الناجم عن رسم الخط العربي في الكلام المنظوم إذ يذكر القارىء في أثناء قراءته لفظة لا تتفق في دلالتها مع البيت الشعري المقروء ومن أمثلتة ما نقله عن أبي حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ) إنّه قال:(كنت اختلف مع أبي عبيدة والأصمعي إلى ذوي الأشراف بالمربد من رهط سليمان بن علي ، للاستماع إلى ما يُقرأ عليهما من الكتب فقرأ على أبي عبيدة يوماً سليمان بن جعفر شعر عَبيد... وقرأ عليه يوماً آخر في شعر عنترة :

ذَهَبَ الدَّيْنَ فِراقُهُمْ أتوَقَّعُ وجَرَى بِبَيْنِهِم الغُرابُ الأبْقعُ

فقال أبو عبيدة:تعس الغراب،ولم يزد عليه)) [٣١] ، والصواب:الغراب الأبقع[٣٢] .

٣-الكلام غير المنظوم :

أصاب هذا النوع من التصحيف الكلام المنثور أيضاً إذ يقرأ القارىء اللفظة على غير ما كتبها صاحبها فتتغير دلالتها ومن أمثلته قوله: ((إنَّ صاحب بريد أصبهان كتب في الخبر إلى محمد بن عبد الله بن ظاهر أنّ قائداً ممّن بها من الموالي يلبس خَزْلَخِيَّةً ويجلس للنساء في الطرقات ، فكتب محمد إلى يحيى بن هَرْثَمَة – وكان يلي أصبهان من قِبَله – أشخص لي فلاناً وخَزْلَخيتة ، فقرأ الكتاب عليه كاتبه محمد بن رستم والد أبي علي الرستمي فصّحفه إلى (وجز لحيته) فجز لحيته وأشخصه آيةً ونكالاً)) [٣٣] .

ب – التحريف :

١- كلام الله تعالى :

ذكر الأصفهاني في الباب الذي خصصه للقراءات القرآنية بعض الآيات التي وقع التحريف في قرأتها، ومنها–على سبيل المثال– قراءة ابن عباس لقوله تعالى:﴿ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاط ﴾[٣٤] إذ قرأها﴿ حَتَّى يَلِجُ الجُمَّل ﴾ ، وقال : هو قَلْس من قلوس السفن[٣٥] .

٢- الكلام المنظوم :

ومن أمثلة التحريف الذي أصاب الشعر العربي بسبب رسم الخط قوله: ((وقرأ مسلم بن سعيد بن سلم يوماً على الأصمعي :

عَزَفْتَ بأعْشَاشٍ وَما كُدْتَ تَعْزِفُ وَأنْكَرْتَ مِنْ حَوْرَاءِ ما كُنْتَ تَعْرِفُ

فقال الأصمعي : كذا يقال الشعر ، ولم يفطنه)) [٣٦] وقصد أنّه لم يفطنه إلى لفظة (حوراء) التي هي تحريف (حدراء) [٣٧] .

٣- الكلام غير المنظوم:

ومن أمثلته ما نقله عن أحمد بن موسى إذ قال :((وكان أحمد بن موسى بن إسحاق من جلّة قضاة السلطان ، فإنّه أملى بأصبهان على أصحاب الحديث : حدثني فلان عن فلان عن هندان المعتوه، يريد : عن هندٍ أنَّ المغيرة)) [٣٨].

ثانياً : ضعف الرواية :

لقد أحس العرب – منذ وقتٍ مبكرٍ بصعوبة التخلص من آفة التصحيف و التحريف التي تصيب الكتابة العربية بسبب تشابه أحرف الخط العربي وحرصوا على نقل تراثهم عن طريق الرواية والمشافهة وكانوا يعيبون الأخذ عن الصحف ،قال ابن سلام الجمحي(ت٢٣١هـ): ((وليس لأحدٍ- إذا اجتمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه[*]– أن يَقْبَل من صحيفة ولايروي عــن صحفي))[٣٩] ، لكن مع ذلك أصابت هذه الآفة بعض الروايات ، ويمكن أن يُستشف ذلك مما جاء في كتاب (التنبيه على حدوث التصحيف) إذ نقل حمزة الأصفهاني بعض الروايات التي وقع فيها التصحيف تحريف. وفي ما يأتي أمثلة ذلك :

أ – التصحيف :

١- الكلام المنظوم :

ومما نقله الأصفهاني عن التصحيف الذي وقع بسبب ضعف الرواية قوله :((كما صحف العلماء اسم الشاعر الذي ذكره امرؤ القيس في قوله :

عُوجَاً عَلَى الطَّلَلِ المُحِيْلِ لَعَلَّنَا نَبْكِي الدِّيارَ كَمَا بَكَى ابنُ خِدامِ

فسألت أبا الحسين الأصبهاني[٤٠] عنه فقال رواه الأصمعي (خِدام) ، ورواه أبو عبيدة (خِذام) ورواه راوٍ (حذام))) [٤١] .

٢-الكلام غير المنظوم :

ومن الأمثلة التي نقلها عن التصحيف الذي أصاب الحديث النبوي بسبب ضعف الرواية قوله : ((وروى آخر:لعن الله اليهود حُرِّمت عليهم الشحوم فحملوها، وإنّما هو (فجَملوها) أي أذابوها)) [٤٢].

ب– التحريف:

١- الكلام المنظوم :

ومثاله قوله:((قال أبو محمد الحسن بن أبي قتادة القمي: وروى أبو نصر أحمد بن حاتم بيت زهير :

وَمَنْ يَغْتَربْ يَحْسِبْ عَدُوّاً صَدِيْقَهُ وَمَنْ لا يُكرِّمْ نَفْسَه لا يُكَرَّمِ

قال أبو محمد : وهذه الرواية أحسن عندي من (يحسَب),لأنَّ (يحسِب) في معنى يعده صديقه ، ومعنى الرواية الأخرى يظنه صديقه)) [٤٣]. فتغيير حركة حرف السين من الفتح إلى الكسر أدى إلى تحريف اللفظة إذ تغيرت دلالتها من يظــنّه إلى يعدّه .

٢- السهو:

كل إنسان معرض إلى السهو والزلل سواء أكان ذلك في الكلام أم في الكتابة، وأحياناً يقع بسبب ذلك تصحيف وتحريف ، وقد وجدت في كتاب الأصفهاني مثالين على التصحيف الحاصل سهواً أحدهما في الشعر والآخر في النثر وهما :

أ- الكلام المنظوم:

قوله : ((إنّ أبا حاتم حكى عن نفسه إنّه كان يقرأ شعر المتلمس على الأصمعي، وأراد أن يقول :

أغنيتُ شاني فأغنوا اليوم شانئكُمُ واستَحمِقوا منْ مراس الحرب أو كيسوا

فقال (أغنيت شاتي)، فقال الأصمعي بالعجلة : (فأغنوا اليوم تيسكُم– إذاً -) وأشار إلى أبي حاتم، فأضحك منه الحاضرين)) [٤٤] ، وكان سبب هذا التصحف زلة لسان .

ب- الكلام غير المنظوم:

ومثاله قوله : ((وإنَّ سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله على المدينة : أحص المخنثين قِبَلَك ، فوقعت من قلم الكاتب نقطة على الحاء فجعلها خاءاً ، فلما ورد الكتاب على والي المدينة قرأ كاتبه (أخص المخنثين) فقال له الأمير: لعله(أحص المخنثين)، فقال: أيّها الأمير إنّ على الحاء نقطة)) [٤٥] وسبب هذا التصحيف زلة قلم.

ثالثاً : الحسد العلمي:

صُنفت في التصحيف والتحريف مصنفات كثيرة[٤٦] ولكن يبدو لي أنَّ أغلب ما رُوي من تلك التصحيفات والتحريفات مُخْتَلَقٌ وليس له أساس من الصحة, ومما يدل على ذلك إنَّ البصريين كانوا يتهمون الكوفيين بالتصحيف إلى درجة أنَّ الصولي (ت٣٣٥هـ) صنف في ذلك كتاباً سماه (ما صحّف فيه الكوفيون) [٤٧] ,والكوفيون يتهمون البصريين بالتصحيف يدل على ذلك ما نقله أبو أحمد العسكري عنهم في كتابه (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) في الباب الذي سمَّاه (ما روي من أوهام علماء البصريين) [٤٨] ، وما نقله حمزة الأصفهاني من تصحيفات الفريقين في بداية كتابه[٤٩] فضلاً عن الباب الذي خصصه لهذه التصحيفات والتحريفات و سّماه (تصحيفات العلماء في شعر القدماء وعددهم) [٥٠] ناهيك عن الاتهامات التي يوجهها أصحاب كل من الفريقين إلى بعضهم من المدرسة نفسها وشاعت تلك الاتهامات حتى ظن الناس أن لا أحد من العلماء قد سلم من تلك الآفة الأمر الذي دفع بعض الولاة وأصحاب النفوذ السياسي إلىالطلب من العلماء أن يصنفوا لهم المصنفات التي تقيهم من التصحيف والتحريف ويبدو لي أن أمثلة ذلك ما نقله الأصفهاني عن بعضهم.

أ – التصحيف :

ومن أمثلته – على ما يبدو – ما نقله عن الأصمعي ، إذ قال :((وروى بيت ذي الرُّمَّة :

فيها الضَّفادِعُ والحيتانُ تَصْطَخِبُ ...

فقال أبو علي الأصبهاني : أي صوت السمك ؟ إنما هو (تصطحب) أي تتجاور[٥١] .

فلا يُعقل أنَّ رجلاً مثل الأصمعي- ترعرع على حب حفظ الشعر العربي ، ونهل فصيحه من البادية إلى أن صار من كبار رواته- يصحف في رواية بيت شعر قيل في عصره ، ناهيك عن نوع التصحيف الذي أُتهم فيه وهو أنّه لا يعلم أن لا صوت للسمك !

ب – التحريف :

ومن أمثلته _ على ما يبدو – ما نقله عن أبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ) إنّه قال : ((كان ابن الأعرابي يذهب من الخلاف على الأصمعي في كل مذهب ، فروى الأصمعي هذا المَثَل (ياعاقِد اذكر حَلاً) ، فخالفه ابن الأعرابي ورواه (ياحاملاً اذكر حَلاً)، وقال سمعته من أكثر من ألف أعرابي فما رواه أحد منهم (ياعاقد) ، قال : ومعنى المثل : إذا تحمَّلتَ فلا تُؤَرّثْ ما عقدتَ))[٥٢] , وأظنُّ أنَّ ألف أعرابي عددٌ مبالغٌ فيه ، وفضلاً عن ذلك فإنَّ أبا هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) رواه في كتابه

جمهرة الأمثال : (ياعاقِد اذكر حَلاً)[٥٣] , ويبدو أنَّ سبب اختلاق مثل هذه التصحيفات يعود إلى التنافس بين العلماء للتقرب إلى ذوي المناصب السياسية، وكان هذا التنافس موجوداً آنذاك .

رابعاً : النُسَّاخ (الورّاقون) .

قال الدكتور محمد عيد : ((فقد عاون على إشاعة هذه الظاهرة وخطرها(النساخ) الذين يسمون(بالورّاقين) أولئك الذين تنحصر جهودهم في احتراف الوراقة لنسخ الكتب العلمية وبيعها للناس ، ولم يكن النساخ والوراقون غالباً على علم باللغة))[٥٤], وممَّا يدل على صحة ما ذهب إليه الدكتور محمد عيد اختلاف مخطوطات الكتاب الواحد ، وأظنُّ أنَّ التصحيف الذي نسبه أبو بكر بن دريد (ت٣٢١ هـ) إلى الخليل يمكن أنْ يُعد مثالاً على ذلك، فقد نقل عنه الأصفهاني إنّه قال :((خالف الخليل الناس في أشياءٍ ، منها قوله : (يوم بُغاث) بغين منقوطة ، وهذا يوم مشهور من أيام الأوس والخزرج ، وهو بُعاث بعين غير منقوطة . وقال في حرف الخاء المنقوطة : بنو جَخْجَبي ، ولاخلاف بين الناس أنه بحاء غير منقوطة . وقال : الحصب : الحيَّة ، وإنّما هو الحضب بضاد منقوطة . وقال الِهمْيَع :الموت الوحي، ولاخلاف بين الناس أنه الِهمْيَغ بغين منقوطة. وقال في حرف السين :السَّدف : الشخص، وإنّما هو الشدف بشين منقوطة))[٥٥]، ويبدو أن هذا التصحيف يعود إلى الليث تلميذ الخليل أو إلى النساخ، ومما يدل على ذلك قول حمزة الأصفهاني – بعد ذكر هذه التصحيفات – ((وهذا من غلط الليث على الخليل))[٥٦] .

وثمة أسباب أخرى لحدوث التصحيف والتحريف في الكلام العربي لم يرد في كتاب حمزة الأصفهاني ما يُشير إليها منها سوءالسمع الذي يقع فيه المتلقي إذ يختلط عليه صوت المملي أوالراوي.

ولمعالجة آفة التصحيف والتحريف نُشبه النص الغلوط بالمريض و نُشبه الناقد أو المعالج بالطبيب ، إذ يقول برجستراسر في كتابه (أصول نقد النصوص) : ((إنَّ أول وظيفة للطبيب هي أنْ يتحقق : هل يكون المريض مريضاً في الأصل ؟ أي إنّنا إذا وجدنا نصاً صعباً لا نحكم عليه بأنَّه مريض، كما لا نحكم عليه بأنَّه غير صحيح إلا بعد الفحص . ثم بعد ذلك يجب على الطبيب أنْ يعيِّن العضو المريض ؛ وذلك أنَّه كثيراً ما يكون الخطأ في غير الموضع الذي يصعب فهمه ، كما أنَّ دلائل المرض كثيراً ما تشاهد في عضوٍ آخر غير العضو المريض . ثمَّ نستدل على جنس المرض الواقع فيه . و كذلك الناقد يجتهد في استخراج جنس الخطأ ، أي يجتهد في استخراج ما كان يتوقع أن يوجد في النص مكان الموجود في روايته.وبعد هذه العناية يتقدَّم الطبيب للعمل على شفاء المريض فيصف له ما يمكن من علاج.وكذلك الناقد يتقدم لإصلاح الخطأ و يتجنب في سبيل ذلك كل تحكم و استبداد)) [٥٧] .

المبحث الثالث :التصحيف المتعمَّد

وهو أن يعمد القائل إلى ذكر لفظ مصحّف لغرض الإلغاز والإطراف ، ويعد هذا النوع من التصحيف فناً من فنون علم البديع ، قال حاجي خليفة (ت١٠٦٧ هـ) :((وهذا من أنواع علم البديع حقيقة،لكن بعض الأدباء أفردوه بالتصنيف وجعلوه من فروعه وموضوعه الكلمات المصحّفة التي وردت عن البلغاء وبهذا الاعتبار يكون من فروع المحاضرات،وفائدته وغرضه ومنفعته ظاهرة))[٥٨].

وأستعمل هذا النوع من التصحيف في الكلام المنظوم وغير المنظوم .

١ ـ الكلام ا لمنظوم :

كان الشعراء يعمدون إلى هذا الفن لغرض بلاغي، وخصص الأصفهاني لهذا النوع من التصحيف باباً سَمّاه (في ذكر التصحيف عمداً ، نظماً لا نثراً) [٥٩] , ومن أمثلته هجاء أبي نواس لأبان بن عبد الحميد اللاحقي :

صَحَّـــفْتْ أُمّكَ إذ سَمّـ مَتكَ فِي المَهْدِ أبَانَا

صَيَّرَتْ بَاءَاً مَكَان الثْـــ تـَاء وَاللهُ أعَانَـا
قـَدْ عَلِمْنَـا ما أرَادَتْ لـَمْ تُرِدْ إلا أتَانَـا [٦٠]

وثمة نوع آخر من هذا الفن يكون على شكل إلغاز نحو قول الشاعر :

أوَّلُهُ ثالثُ ثُقَّاحَـة وَآخِرُ التفاح ثانِيـْه
ورابع الخَمْر له ثالثٌ وَآخر الوَرْدِ لِبَاقِيـْه

أحمد))[٦١] .

٢-الكلام غير المنظوم :

لم يقتصر هذا التصحيف على الشعر العربي ، بل أستُعمل في النثر أيضاً ، وكانت الغاية منه الإطراف والإلغاز، وأول من تكلم به الإمام علي (عليه السلام)، ومن كلامه في ذلك خراب البصرة بالريح[٦٢] إذ قال: ((ألا إنَّ خراب بصرتكم هذه تكون بالريح))[٦٣]، وقال الأصفهاني: ((فما أقلعوا عن هذا التصحيف إلا بعد مائتي سنة عند معاينتهم خرابها بالزنج))[٦٤] وأفرد لهذا النوع من التصحيف باباً سمّاه (في ذكر التصحيف نثراً المستعمل عمداً لا سهواً)[٦٥] ومما ذكره فيه قوله : ((وقال المتوكل يوماً ليوحنا بن ماسويه : بعت بيتي بقصرين ، فقال له يوحنا : أخِّر الغداء . أراد المتوكل : تعشيت فضرني ، فأجابه بن ماسويه بما تضمن العلاج))[٦٦].

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ هذا الفن أستُعمل في التصحيف دون التحريف فلم أجد ما يُشير إلى استعماله في التحريفة .

الإحالات والحواشي:

(١) ينظر:حمزة بن الحسن الأصفهاني, حسين علي محفوظ:٦٣- ٩٥,مجلة سومر,مج(١٩)،(١-٢)،لسنة (١٩٦٣م) .
(٢) ينظر:آراء حمزة بن الحسن الأصفهاني في اللغة والتاريخ والبلدان,حسين علي محفوظ : ١٢١ – ١٦٦, مجلة سومر ، مجلد (٢٠) ،لسنة (١٩٦٤) .
(٣) حمزة بن الحسن الأصفهاني حياته و آثاره , عايد جدُّوع : (رسالة ماجستير) المقدمة : أ .
(٤) ينظر : حمزة بن الحسن الأصفهاني حياته و آثاره : ٤٦ .
(٥) العين , الخليل بن أحمد الفراهيدي : (صحف) ٣ / ١٢٠ .
(٦) التنبيه على حدوث التصحيف , حمزة الأصفهاني : ٧١-٧٢ .
(٧) م . ن : ٧١ .
(٨) المزهر في علوم اللغة و أنواعها , السيوطي : ٢ / ٣٥٣ .
(٩) نشوء اللغة العربية ونموها و اكتهالها , الأب انستاس ماري الكرملي : ٢١ .
(١٠) النساء : ٤٦ , و المائدة : ١٣ .
(١١) العين : (حرف) ٣ / ٢١٠ .
(١٢) لسان العرب , ابن منظور: (حرف) ٣ / ١٢٩ .
(١٣) تاج العروس من جواهر القاموس , الزَّبيدي : (حرف) ٢٣ / ١٢٤ .
(١٤) فصول في فقه اللغة , رمضان عبد التواب : ٨٨ .
(١٥) منهج تحقيق النصوص و نشرها ، د. نوري حمودي القيسي و د.سامي مكي العاني :١٠٩ .
(١٦) حمزة بن الحسن الأصفهاني حياته وآثاره :٣٣ .
(١٧) أصول التفكير النحوي ، علي أبو المكارم : ٢٨٤ .
(١٨) مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرات عن التصحيف والتحريف ،محمود محمد الطناحي :٢٨٧ .
(١٩) التنبيه على حدوث التصحيف : ١٢٠، وينظر:البيت في شعر أوس بن حجر و رواته الجاهلين، د. محمود عبد الله الجادر :٤٣١ .
(٢٠)م . ن :٧١ .
(٢١) ينظر:٣١ -٣٢، ٣٣ -٣٤، ٤٣، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٤، ١٥٠ ، ١٥٣ - ١٥٤ .
(٢٢) أبوأحمد العسكري حياته وآثاره ، حيدر حبيب : (رسالة ماجستير) ٦٠ .

(٢٣) شرح نخبة الفكر مع نزهة النظر ، ابن حجر العسقلاني : ٦٥- ٦٦ .
(٢٤) التنبيه على حدوث التصحيف :٧٢ .
(٢٥) ينظر : أبو أحمد العسكري حياته وآثاره :٥٨.
(٢٦) التنبيه على حدوث التصحيف :٧٢ .
(٢٧) ينظر : م . ن : ٢٢٩- ٢٤٨.
(٢٨) ينظر : م . ن : ٢٣١، والآية في سورة يونس : ٣٠ .
(٢٩) م . ن : ٣٨- ٣٩ .
(٣٠) النحل : ٦٨.
(٣١) التنبيه على حدوث التصحيف : ٤٢ – ٤٣.
(٣٢) ينظر : ديوان عنترة ، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي : ٢٦٢.
(٣٣) التنبيه على حدوث التصحيف : ٤٦ - ٤٧ .
(٣٤) الأعراف : ٤٠ .
(٣٥) ينظر :التنبيه على حدوث التصحيف : ٢٣٥ .
(٣٦) م . ن : ٤٣ .
(٣٧) ينظر : شرح ديوان الفرزدق ، عبدالله الصاوي :٢ / ٥٥١ .
(٣٨) التنبيه على حدوث التصحيف : ٣٢ .
(*) يعني (الشعر) .
(٣٩) طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام : ١/ ٤.
(٤٠) هو محمد بن القاسم النسّابة البصري توفي سنة (أربعمائة) هجرية، ينظر: هدية العارفين، اسماعيل باشا البغدادي :٢/٥٨ .
(٤١) التنبيه على حدوث التصحيف:٩٠،وينظر:البيت في ديوان امرئ القيس،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم:١١٤.
(٤٢) م. ن: ٣٤ ، وينظر :الحديث الشريف في صحيح مسلم بن الحجاج : ٦/ ٩٠ .
(٤٣) م . ن : ١٣٧ ـ ١٣٨ ، وينظر :البيت في شعر زهير بن أبي سلمى صنعة الأعلم الشنتمري ، تحقيق فخر الدين قباوة :٢٤ .
(٤٤) م . ن : ٤١ – ٤٢.
(٤٥) م . ن : ٤٧ .
(٤٦) ينظر : حمزة بن الحسن الأصفهاني حياته وآثاره : ٤٧ – ٤٩ .
(٤٧) ينظر : في اللغة ودراستها ، محمد عيد : ١٢٧ .
(٤٨) ينظر : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، أبو أحمد العسكري : ٥٧ – ٧٢ .
(٤٩) ينظر : التنبيه على حدوث التصحيف : ٤١ – ٤٢ ، ٤٢ – ٤٣ ، ٤٣ – ٤٤ ، ٩٠ .
(٥٠) ينظر : م . ن : ١١١ – ١٥٤ .
(٥١) م . ن : ١٢٣ ، وينظر : البيت في ديوان ذي الرُّمَّة ، د . عبد القدوس أبو صالح : ١/ ٦٣ .
(٥٢) م . ن : ١١٧ – ١١٨ .
(٥٣) ينظر : جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري : ٢ / ٣٢٨ .
(٥٤) في اللغة ودراستها : ١٠٩ – ١١٠ .
(٥٥) التنبيه على حدوث التصحيف : ١٣٢ – ١٣٣ .
(٥٦) م . ن : ١٣٣ .
(٥٧) أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، برجستراسر: ٨٨ .
(٥٨) كشف الظنون ، حاجي خليفة : ١ / ٤١١ .
(٥٩) ينظر : التنبيه على حدوث التصحيف : ٢٥٠ – ٢٧٦ .
(٦٠) م . ن : ٢٥٢ ، والأبيات في شرح ديوان أبي نواس ، ايليا الحاوي : ٥٠٦ .
(٦١) م. ن : ٢٦٨ .
(٦٢) ينظر : كشف الظنون : ١/ ٤١١ .
(٦٣) التنبيه على حدوث التصحيف : ٣٢ .
(٦٤) م . ن : ٣٢ .
(٦٥) ينظر : م . ن : ٢٣٧ – ٢٤٨ .
(٦٦) م. ن : ٢٤٠ .

المصادر والمراجع :

* القرآن الكريم .
* أصول التفكير النحوي ، علي أبو المكارم ،منشورات الجامعة الليبية ، دار العلم ، بيروت (١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣) .
*أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، محاضرات للمستشرق الألماني برجستراسر، إعداد و تقديم د . محمد حمدي البكري ، مطبعة نهضة مصر (١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م) .
* التنبيه على حدوث التصحيف ،أبو عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت ٣٦٠ هـ)، تحـ الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط ١ (١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م) .
* جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري ، تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ١ (١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م) .
* ديوان امرىء القيس ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، مصر، ط٣ (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨ م) .
* ديوان ذي الرُّمَّة غيلان بن عقبة العدوي (ت١١٧ هـ) شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي رواية الإمـام أبو العباس ثعلب ، حققه و قدَّم له وعلَّق عليه د. عبد القدوس أبو صالح ، دمشق ، مطبعة طبرين (١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م) .
* ديوان عنترة ، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي، القاهرة (١٩٦٤ م) ٠
* شرح ديوان أبي نواس ، أيليّا الحاوي ، الشركة العالمية للكتابة ، لبنان (١٩٨٧م) ٠
* شرح ديوان الفرزدق ، عني بجمعه والتعليق عليه عبد الله الصاوي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر (د . ت) .
* شرح ما يقـع فيه التصحيف والتحريف ، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بـن سعيد العسكري (ت٣٨٢ هـ)، تحـ عبد العزيز أحمد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط١ (١٣٨٣ هـ ـ١٩٥٨ م) .
* شرح نخبة الفكر مع نزهة النظر، شهاب الديـن أحمد بن علي بن محـمد العسـقلاني(ت ٨٥٢ هـ), عليمي ، لاهور (١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨ م) .
* شعر أوس بن حجر ورواتـه الجاهلين، د٠ محمود عبد الله الجادر، دار الرسالة للطباعة، بـغداد (١٩٧٩ م) .
* شعر زهير بن أبي سلمى صفة الأعلم الشنتمري ، تح فخر الدين قبـاوة ، المكتبة العربية ، حلب ، ط١ (١٣٩٠ هـ ـ١٩٧٠ م) .
* صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، تحـ عرفان حسونة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ (١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م) .
* طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلَّام الجمحي (ت ٢٣١ هـ) ، قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م) .
* العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥ هـ) ، الجزء الثالث، حققه د٠ مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، دار الخلود للطباعة و النشر ، بيروت (١٩٨١ م) .
* فصول في فقه اللغة ، د٠ رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ودار الرفاعي ، الرياض، ط٢ (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م) .
* في اللغة ودراستها ، محمد عيد ، عالم الكتب ، القاهرة (١٩٧٤ م) ٠

* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعلامة المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب جلبي و المعروف بحاجي خليفة ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٤١٣ هـ -١٩٩٢ م) .
* لسان العرب ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفـريقي المصـري (ت٧١١ هـ) اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر و التوزيع ، ط١ (١٤١٩ هـ ١٩٨٤ م) .
* مدخل إلى تاريخ نشر التراث مع محاضرات عن التصحيف والتحريف ، محـمود محمد الطناحي ، مطبعة المدني ، مصر ط١(١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م) .
* المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) حققـــه محمد أحمد جار المولى و آخرون ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر (د . ت) .
* منهج تحقيق النصـــوص ونشرها، د . نوري حمـودي القيسي و د٠ سامي مكـي العاني ، مطبعة المعارف ، بغداد (١٩٧٥ م) .
* نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ، الأب انستاس ماري الكرمـــلي ، المطبعة العصرية ، القاهرة (١٩٣٨ م) .
* هدية العارفين – أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ،إسماعيل باشا البغدادي ، منشورات مكتبة المتنبي ، بغداد (١٩٥١ م) .

المجلات :

* مجلة سومر / مجلد (٢٠) لسنة (١٩٦٤ م) ، بحث بعنوان (آراء حمزة بن الحسن الأصفهاني في اللغة و التاريخ والبلدان) ، د . حسين علي محفوظ .
* مجلة سومر ، مجلد (١٩) ، لسنة (١٩٦٣ م) ، بحث بعنوان (حمزة بن الحسن الأصفهاني) ، د. حسين علي محفوظ .

الرسائل الجامعية :

* أبو أحمد العسكري حياته وآثاره ، حيدر حبيب الجبوري ، رسالة ماجستير ، كلية التربية / جامعة القادسية ، مطبوعة بالحاسوب (١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م) .
* حمزة بن الحسن الأصفهاني حياته وآثاره ، عايد جدَّوع الطائي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية / جامعة القادسية ، مطبوعة بالحاسوب (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م) .

Abstract

The research discusses the phenomena duplicating and distortion in Arab Language in which I depending on what comes in the Book of (notification

on occurring duplicating) for Hamza Al-Asfahani,Which comes in three chapters I mentioned in the first chapter the definition of duplicating and distortion in language and the expression of distortion for the elders and the talkers . I mentioned in the second chapter the causes of occurring the distortion and the duplicating in the language , I referred that to five causes which are " painting the Arabic letters , weakness of talks , forgotten , the scientific envy , copiers (papermakers) , I discovered through the research that these causes are differential in difference of the Arabic talking , I understood the reason behind the duplication and distortion in Koran reading refereed to the painting of Arabic letter only , in the other hand the reason of duplicating and distortion who infected the poetic and prose of Arabic talking to all these causes . In respect of the third chapter which is specialized in duplicating which is meant who is considered as art of rhetoric arts , it is about the sender or talker to remember an indication articulation for funny and puzzles .